دول الخليج العربي في عصر ما بعد النفط

(دراسة في الجغرافية السياسية)

اعداد

ا.م.د عبد الامير الحيالي م. م فراس عبد الجبار

المقدمة

اذا كان هناك من يقول ان مصر هبة النيل وانه لولا النيل لما كانت مصر فان دول الخليج العربي هي هبة (النفط) ولولا هذه الثروة التي منّ الله على هذه المنطقة لما وصلت الى عهد الرخاء الذي تعيشه الآن ومن خلال استقراء تاريخ المنطقة قبل ظهور النفط يتبين لنا ان المنطقة كانت عبارة عن قبائل عربية متفاوتة الحجم والقوة تسكن على جانبي الخليج يمارس اهلها مهنة الغوص للبحث عن اللؤلؤ واقتصرت اهمية المنطقة الإستراتيجية على كونها طريقا تجاريا يتنافس عليه المستعمرون ويتبادلون الادوار فيه ويضاف الى ذلك فقر الارض الصحراوية وبناءا على ذلك يمكن القول ان عصر النفط كان بداية عهد جديد هو عهد الرخاء الذي اصبح المواطن الخليجي ينعم فيه بالتكنلوجيا الحديثة والرفاه الاقتصادي، ولا يريد البحث هنا تحديد مدة زمنية لنضوب النفط وايجاد تخمين معين لذلك ولكنه يحاول الاجابة على السؤال التالي ماذا لو نضب النفط؟ هل لدى دول الخليج العربي البدائل المناسبة للنفط في حالة نضوبه؟وما هو مصير المنطقة السياسي بعد النفط؟.

ان الفرضية التي قام عليها البحث هي ان البدائل المتوفرة في منطقة الخليج العربي ضعيفة ولا يمكن ان تؤدي نفس الدور الذي يؤديه النفط وان احسن البدائل الموجودة في المنطقة هو الغاز ولكنه ليس بالوفرة والاهمية التي يوجد فيها النفط حيث تنتج دول الخليج العربي حاليا 5.6 من الانتاج العالمي فيما يقدر الاحتياطي بـ 15% فقط من الانتاج العالمي اضافة الى ضعف العوامل الجغرافية التي ترتكز عليها مقومات الدولة فعدد سكان دول الخليج السنة بلغ في عام 2000 حوالي 31.101 مليون نسمة فيما بلغت مساحتها 2.673 مليون كم^2 وهي ارقام صغيرة لاتمنح دول الخليج العربي تاشيرة الدخول الى عصر ما بعد النفط الذي يضم دولا عملاقة نفوسا ومساحة مثل الهند والصين اللتان تعدان من الدول المرشحة لقيادة العالم في المستقبل، واخيرا يمكن القول ان هذا البحث يدخل ضمن الدراسات الجيوبولتيكية حاول فيها الباحثان استقراء مستقبل المنطقة السياسي مستخدمين في

ذلك منهجين هما منهج البحث التاريخي للغوص في تاريخ المنطقة قبل ظهور النفط ومنهج البحث التحليلي لتحليل واقع المنطقة الحالي والتنبؤ بما ستؤول اليه الاحداث بعد نضوب النفط وقد انطوت الدراسة على ثلاث مباحث تطرق المبحث الاول فيها الى (الحياة السياسية والاقتصادية في دول الخليج العربي قبل ظهور النفط) فيما تناول المبحث الثاني (اثر النفط في اقتصاديات دول الخليج العربي) فيما تطرق المبحث الثالث الى (احتمالية نضوب النفط والبدائل المطروحة في دول الخليج العربي).

المبحث الأول

الحياة السياسية والاقتصادية في دول الخليج العربي قبل ظهور النفط

الخليج العربي عبارة عن لسان مائي ممتد من المحيط الهندي وبالذات من بحر العرب داخل آسيا في المنطقة التي تفصل بين الوطن العربي وبلاد فارس بطول الف كم تقريبا[1] ويقع حوض الخليج العربي بين دائرتي عرض 24 – 59.30 شمال خط الاستواء وبين خطي طول 47–57 شرقا وتقدر مساحة الخليج العربي بحوالي 800كم من مصب شط العرب في ميناء الفاو في القطر العراقي في الشمال حتى الساحل الشمالي لمنطقة الرؤوس في سلطنة عمان اما بالنسبة لاقطار الخليج العربي الستة (الامارات العربية المتحدة ، البحرين والمملكة العربية السعودية ، وعمان وقطر والكويت) فتقع بين دائرتي عرض (17–30) شمالا وبين خطي طول (35–59) شرقا وبناء عليه فان منطقة الخليج العربي تقع الى الشمال من خط الاستواء في المنطقة المدارية انظر خارطة (1) وان مدار السرطان يمر من قسمها الجنوبي وهي تحتل القسم الجنوبي الغربي من قارة اسيا والقسم الجنوبي الشرقي من الوطن العربي وهي تعتبر حلقة وصل بين الشرق والغرب وتشهد حركة تجارية دائمة[2]، ان الامتداد المحدود لدول الخليج العربي بالنسبة لدوائر العرض قد فرض بدوره تنوعا مناخيا محدودا مما ادى الى محدودية النشاطات الاقتصادية بل يمكن القول ان الانسان الخليجي كان يجاهد من اجل لقمة العيش بسبب فقر الارض وقلة المطر فاتجه صوب البحر للبحث عن اللؤلؤ وصيد السمك، اما الزراعة فاقتصرت على بعض الواحات الصغيرة بسبب فقر الارض كما ذكرنا ويسيطر الاقطاعيات القبلية على بعض هذه الاراضي[3]، ولذلك كانت اقطار الخليج فقيرة في مواردها الاقتصادية وكان نمط الانتاج السائد هو (النمط المعاشي) الذي يهدف الى توفير الكفاية الذاتية الغذائية وقد بلغ العدد العاملين في استخراج اللؤلؤ حوالي 7400 عامل بينما بلغ عدد السفن حوالي 4750 سفينة واستمرت عملية استخراج اللؤلؤ

كاهم نشاط اقتصادي في منطقة الخليج العربي حتى ثلاثينيات القرن العشرين حينما ظهر اللؤلؤ الصناعي الياباني

خارطة رقم (1) دول الخليج العربي و موقعها الجغرافي

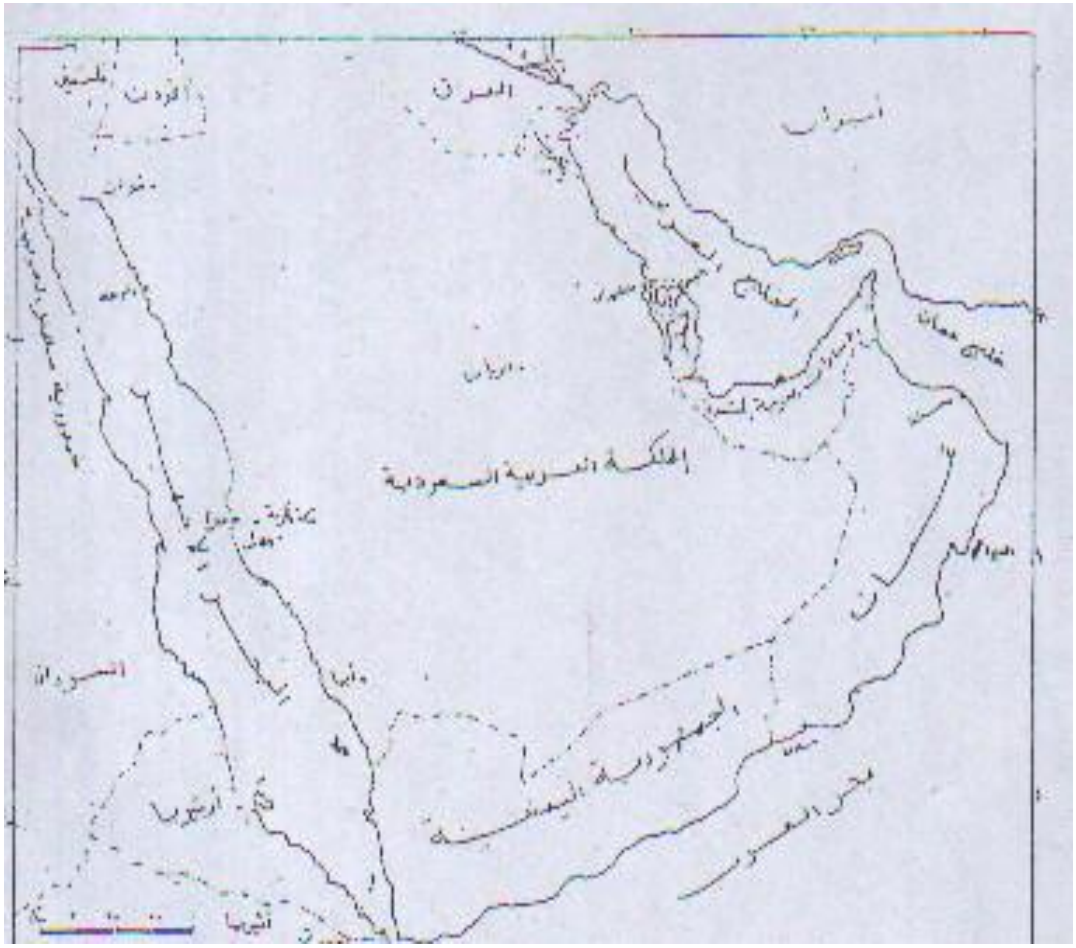

الخارطة من اعداد الباحث بالاعتماد على عبدالزهرة شلش العقابي , توجهات تركيا نحو اقطار الخليج العربي (دراسة في الجغرافية السياسية) , دار الشؤون الثقافية العامة , ص61 .

كمنافس قوي للؤلؤ الخليجي الطبيعي مما اصابه بالكساد وادى الى ان تمر منطقة الخليج العربي بحالة من الفقر الشديد وبدا ان المنطقة متجهة الى كارثة اقتصادية لولا ظهور النفط[4]، وفي الحقيقة فان تجارة اللؤلؤ لم تسهم في رفاهية الانسان الخليجي حتى في وقت ازدهارها بسبب سيطرة عدد قليل من المستفيدين من هذه التجارة وهم في الغالب تجار اللؤلؤ (الطواويش) وقبطان السفينة (النواخذة) اما الاكثرية من العمال فلا تحصل الا على جزء يسير من الربح لا يكفي لسد حاجاتهم وحاجات عوائلهم[5].

اما في الجانب السياسي فقد انتبه المستعمرون الغربيون لاهمية هذه المنطقة مبكرا وذلك لوقوعها على طريق التجارة العالمية فقد كانت منطقة الخليج العربي طريقا تجاريا مهما يربط بين العراق وبلاد فارس من جهة وبين شرق افريقيا والهند من جهة ثانية وكان طريق التوابل البحري قادم من جنوب شرق اسيا يتفرع في بحر العرب الى فرعين احدهما الى الخليج العربي (العراق ، سوريا) ثم الى سواحل البحر المتوسط او البحر الاسود والثاني الى البحر الاحمر حيث تصل البضائع الى الاسكندرية ثم تنقل بواسطة سفن الى اوربا وبالحقيقة ان منطقة الخليج العربي تتفوق على منطقة البحر الاحمر بعاملين هما :

١. قصر المسافة التي تقطعها التجارة من اسيا عبر الخليج.

٢. ان الخليج تقل فيه العقبات الطبيعية التي تعيق الملاحة البحرية[6].

هذين العاملين يضاف اليهما كثرة الجزر التي تقدم تسهيلات كبيرة لاخفاء السفن والقطع البحرية وسيطرة تلك الجزر على الطريق الملاحي وقرب الخليج من منطقة الصراع الدولي في منطقة المحيط الهندي جعلت الخليج منطقة صراع بين القوى الاستعمارية منذ القرن الخامس واول من وطأ المنطقة من المستعمرين في العصر الحديث هم البرتغاليون الذين تحالفوا مع الفرس الذين كانوا يفتقرون الى الاسطول البحري حيث تضمن الاتفاق بسط نفوذ الفرس (الصفويين) على منطقة البحرين والقطيف مقابل التخلي عن ميناء جوادر على سواحل بلوشستان وقد تمكن في سنة

1506م من القضاء على دولة هرمز وسد منافذ التجارة التي يستخدمها العرب في البحر الاحمر والخليج العربي وهاجموا الموانيء العربية ودمروها مثل ميناء قربات ومسقط واخذوا يستخدمون القرصنة ضد السفن العربية والغاية من ذلك عبر عنها القائد البرتغالي البوكيريك بقوله (انني مقتنع كل الاقتناع بان اللحظة التي تنتزع فيها تجارة التوابل من العرب تعني انتهاء القاهرة ومكة وسيضطر تجارها الى شراء ما يعرضونه الان من البرتغال) واتم البرتغاليون سيطرتهم على البحرين سنة 1515م حيث نزلوا في المنامة الى ان بدأ الضعف يدب في الاستعمار البرتغالي في النصف الثاني من القرن السادس عشر لاسباب عديدة منها ظهور الاستعمار الهولندي والبريطاني وظهور المقاومة العربية وخاصة في عمان حيث تمكن العمانيون من القضاء على الكثير من مراكز النفوذ البرتغالي في مناطق الساحل العربي[7] والاجزاء الشرقية من القارة الافريقية ويمكن اعتبار سنة 1622م نهاية السيطرة البرتغالية اذ اقتصر وجودهم على حصن جلفار وبعض الموانئ الصغيرة وبعد انتهاء النفوذ البرتغالي ظهر البريطانيون والهولنديون في المنطقة حيث عجل البريطانيون بالتحالف مع الفرس باقامةشركة الهند الشرقية في بندر عباس عام 1623م فسارعت هولندا التي كان نفوذها متمركزا في منطقة جنوب شرق اسيا الى مد نفوذها الى هذه المنطقة ومن الجدير بالذكر ان الاستعمار الهولندي كان تجاريا بالدرجة الاولى مما ادى الى نشوب حرب استمرت سنين بين هولندا وبريطانيا سبب المنافسة التجارية القوية التي أبداها الهولنديين تجاه الشركات الانكليزية وخسائر الاخيرة المتلاحقة وقد استقرلهم التفوق في نهاية القرن السابع عشر تقريبا ولكن الهولندين واجهوا مقاومة عنيفة من قبل سكان الخليج العربي لان نشاطهم التجاري اثر على حياة سكان الخليج التجارية فبدأوا بمهاجمة السفن الهولندية ومن امثلة المقاومة العربية هي المقاومة التي ظهرت في جزيرة خرج التي كان يحكمها حكام عرب يشتهرون بامتلاك السفن والمهارة في شؤون الملاحة بقيادة (شيخ نصر) وقد افرج الهولنديين عن الجزيرة عام 1765م واجبروا على دفع ضريبة سنوية ومن الاسباب التي ادت الى اثارة العداوة ضد الهولنديين هو قيامهم باستخراج اللؤلؤ

بصورة سرية اضافة الى التدخل في شؤون سكان الجزيرة واعتمادهم على عوائل غير عربية ونتيجة لهذه المقاومة لم يستمر النفوذ الهولندي طويلا الى ان المنطقة ما برحت ان شهدت ظهور المنافسة البريطانية الفرنسية حيث بدأ الفرنسيون ينافسون البريطانيون في الاعمال التجارية وقد حاول نابليون اثناء حملته الحصول على مساعدة السفن العمانية الى ان بريطانيا ساعدت على مفاوضة سلطان (عمان) السلطان احمد وانتهت هذه المفاوضات بتعهد سلطان مسقط بعدم مساعدة الفرنسيين مقابل اعتراف بريطانيا باستقلاله وقد أرسلت فرنسا في سنة 1808م بعثة لتوطيد علاقاتها مع دول الخليج العربي الا ان هذه البعثة لم تنجح في مساعيها بسبب النفوذ البريطاني واستفادت دول الخليج العربي من حركة التجارة مع الهند التي كانت تحت النفوذ البريطاني ولهذا السبب يمكن القول ان فرنسا لم تنجح في تحقيق أي موطأ قدم لها في منطقة الخليج العربي اما بريطانيا فقد ادركت الاهمية الكبيرة للمنطقة بعد التاكيدات التي قدمتها بعثاتها المستمرة وقد تاسست شركة الهند الشرقية سنة 1600م وبدأت بريطانيا بتصفية منافسيها نهائيا من الاسبان والهولنديين والبرتغاليين حيث كانت بريطانيا قد قضت على النفوذ الاسباني سنة 1588م اثر معركة بحرية تلاها القضاء على النفوذ البرتغالي في معركة (جسك) سنة 1622م ثم قامت الشركة بفتح وكالة لها في بندر عباس ووقفت بريطانيا الى جانب الشاه عباس الاول في حربه ضد الدولة العثمانية ثم اخذت بريطانيا تتجه نحو شمال الخليج العربي حيث فتحت وكالة لها في مدينة البصرة ، ان الصراعات الآنفة الذكر دار على الجانب الشرقي للخليج العربي وفي مدخله اما الساحل الغربي فقد كان يخضع للقبائل العربية القاطنة على سواحله مثل اليعاربة الذين اسسو وحدة سياسة مستقلة في عمان بقيادة ناصر ابن مرشد والقواسم الذين اصطدموا مع بريطانيا حتى تمكنت من القضاء عليهم سنة 1820م وقد وجدت بريطانيا السياسة المناسبة التي تتبعها في منطقة الخليج بان تعقد اتفاقيات منفردة مع شيوخ القبائل وكانت المعاهدة البريطانية الكويتية سنة 1899م التي تعهد فيها شيخ الكويت بعدم عقد أي اتفاقية مع دولة اخرى الا بموافقة بريطانيا هي تمام

السيطرة البريطانية على منطقة الخليج[8]، مما سبق يتضح ان منطقة الخليج العربي استمدت اهميتها من كونها طريقا تجاريا مهما واصبحت عرضة للصراعات الاستعمارية نتيجة لضعف الوحدات السياسية ونظام القبلية السائدة فيه والمساعدة التي كان يبديها الفرس للغزاة الى ان هذه الاهمية قلت بعد فتح قناة السويس سنة 1869م ومر الخليج بفترة ركود اقتصادي ثم ما لبثت ان عادت من جديد بعد اكتشاف النفط من قبل (وليم دارسي) المدعوم من قبل بريطانيا لتبدأ مرحلة جديدة من الحياة السياسية والاقتصادية للمنطقة.

المبحث الثاني

التحولات الاقتصادية والسياسية في دول الخليج العربي بعد ظهور النفط

من خلال تحليل معطيات الفصل الاول يتضح لنا ان اهمية الخليج العربي كانت مقتصرة على كونه طريقا استراتيجيا يتمتع باهمية كبيرة كونه يربط بين الشرق والغرب اما النشاط الاقتصادي فقد كان مقتصرا على التجارة وصيد اللؤلؤ بالدرجة الاولى والزراعة على نطاق محدود وقد تغيرت الحالة بعد اكتشاف النفط واصبح النفط يحتل دورا مهما في حياة الانسان الخليجي اما من الناحية السياسية فلم تتغير الحالة كثيرا عما كانت عليه قبل ظهور النفط من صراع دولي للسيطرة على هذه المنطقة وفي هذا المبحث سنتطرق الى دور النفط في التحولات السياسية والاقتصادية في منطقة الخليج العربي.

لقد ازدادت اهمية الطريق الملاحي للخليج العربي بعد ظهور النفط نتيجة لمرور الناقلات المحملة بالنفط المستورد من الخليج وبدا النفط يدخل كجزء مهم في اقتصاديات الخليج العربي بل اصبح يشكل العمود الفقري في الدخل القومي وتتوزع حقول النفط في دول الخليج العربي على الساحل الغربي لدول الخليج أي في جنوب العراق والكويت والمملكة العربية السعودية والامارات المتحدة والبحرين وقطر وينتج هذا الحوض نحو 13مليون برميل يوميا أي ما يقارب 65% من اجمال النفط العربي تمتد هذه الخطوط بشكل طبيعي من الشمال الى الجنوب متمثلة بحقول الزبير والرميلة والشمالي والرميلة الجنوبي ومجنون في العراق وحقول برقان والمقطوع والاحمدي والروضتين وبصرة والعابدين والمناقيش وام قدير وخفجي والوفرة وام قدير الجنوبي في الكويت واما في المملكة العربية السعودية فتوجد حقول الدمام والبقيق وابو حدرية والقطيف وغوار وقاضي وسفيانة والفرسانية ومربص ومنيعة وابو حفاة (البحري البري وخليف وحرميلة ومرجان وفي الامارات العربية المتحدة تتوزع الحقول بين ابو ظبي ودبي حيث يقع حقل مربان وباب وبوما وام شايف وبوحاسا وزاكوم

والعصيب وامبرس وابو البكوش في ابو ظبي فيما تقع حقول فاتح جنوب وغرمس في دبي اما قطر فتضم اراضيها اربعة حقول هي دخان والحد الشرقي وميدان مهذان وبولحنين فيما تضم البحرين حقل عوالي وعمان حقل ناهود وقرن العلم(9).

لقد اصبحت خطط التنمية في الاقطار الخليجية تتغذى بشكل رئيسي من خلال واردات النفط فقد مثل النفط في سنة 1977م 64.5% من اجمالي خطة التنمية في الكويت و 19.9% في السعودية و 79.4 في قطر و 83.3 في الامارات ومن هذه الارقام يتضح ان الميزان التجاري الخليجي سيصاب بعجز كبير دون النفط وقد متوسط نصيب الفرد من اجمالي الناتج المحلي بالاسعار الجارية في دول الخليج العربي 10970.6 في عام 2000 وقد بلغت صادرات دول الخليج العربي حوالي 73.2 بليون دولار عام 1999م مثل النفط ومشتقاته حوالي 85.1% منها وبذلك فان النفط ما زال يشكل العمود الفقري للاقتصاد في دول الخليج العربي فاذا ما حدث أي خلل في اسعار النفط مثلما حدث في عام 2002م عندما انخفضت اسعار النفط حيث سجلت ميزانيات دول الخليج عجزا يقدر بـ 17.2 مليار دولار والجدول رقم (1) يوضح العجز في ميزانيات دول الخليج لعامي 2001 و 2002 ومن ناحية اخرى فقد ادى ظهور النفط الى توسع العلاقات التجارية والاقتصادية لدول الخليج العربي وخصوصا مع الولايات المتحدة الامريكية واليابان والاتحاد الاوربي حيث بلغت صادرات دول الخليج العربي الى اليابان حوالي 19.6 بليون دولار أي ما نسبته 16.6% من اجمالي صادرات دول الخليج لعام 2000م تليها الولايات المتحدة حيث بلغت الصادرات اليها 16.9 بليون دولار لنفس العام أي ما نسبته 14.3% من اجمالي صادرات الدول الخليجية فيما بلغت صادرات دول الخليج واردات دول الخليج العربي حوالي 72.2بليون دولار عام 1999م ارتفعت الى 76.6بليون دولار في عام 2000م ويحتل الاتحاد الاوربي مكان الصدارة كاكبر مصدر لدول المجلس اذ بلغت حصة دول الاتحاد الاوربي من اجمالي واردات دول الخليج العربي 26.6بليون دولادر في عام 2000م تليها بذلك الولايات المتحدة الامريكية حيث بلغت قيمة ورادات دول المجلس منها 9.4بليون دولار عام 2000م

أي ما نسبته 12.36% ثم اليابان حيث بلغت وارادات دول المجلس منها 7.71بليون دولار أي ما نسبته 10.0 في عام 2000م[10].

ومن ناحية اخرى فقد احدث النفط خللا بنيويا كبيرا في المجتمع الخليجي تمثل في تحويله من مجتمع انتاجي الى مجتمع استهلاكي واصبح المواطن الخليجي يتمتع بكل مقومات الرفاهية والتكنلوجيا الحديثة التي تدرها عليه عائدات النفط وهذا واضح من خلال ما وصلت اليه نسب العمالة الاجنبية في الاقطار الخليجية حيث وصلت الى 91.3% من قوى العمل الموجودة في البلاد بينما وصلت في السعودية الى 50.2 من اجمالي قوى العمل (كأقل نسبة) انظر الجدول رقم (2) ولقد ادى هذا الوضع الجديد الذي لم تالفه دول الخليج العربي قبل عصر النفط الى حدوث خلل في التركيب الديمغرافي للسكان والى ضعف الانتماء والولاء للبلد* لدى قوى العمل واصبحت دول المنطقة اشبه بمعسكرات عمل مما ادى الى تفكيك مجتمعات المنطقة الاصلية وتراجع دور المواطنين السياسي والانتاجي واصبح المواطن الخليجي مهمشا بل تحول المواطنون الاصليون الى مجرد اقلية[11] اما سياسيا فقد ظلت المنطقة على حالها كاحدى بؤر الصراع الدولي ومحط انظار الدول الكبرى ومع تصاعد حدة الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي (سابقا) تمكنت الولايات المتحدة من النفاذ الى المنطقة والحلول محل بريطانيا في ضوء يسمى بسياسة ملأ الفراغ وكانت سياسة المعسكر الغربي في ذلك الوقت تتلخص في الحفاظ على امن المنطقة وضمان استمرار تدفق النفط في العالم ومنع الاتحاد السوفيتي من الوصول الى ابار النفط الخليجية وذلك انطلاقا

جدول رقم (1) الموازنة السنوية لدول الخليج

العربي لعامي 2001-2002 (مليار دولار)

البلد	الانفاق	الايرادات	العجز	الانفاق	الايرادات	العجز
الامارات	6.51	5.90	0.61	6.30	5.71	0.59
البحرين	2.18	1.77	0.41	2.54	1.94	0.60
السعودية	57.5	57.5	صفر	32.54	41.86	12.0
عمان	7.15	6.33	0.82	53.86	3.70	1.10
قطر	4.82	4.14	0.68	6.80	3.90	0.70
الكويت	15.44	14.63	0.81	4.60	15.30	2.30
الاجمالي	93.60	90.27	3.00	91.70	74.41	17.2

المصدر/ احمد حسين ، الموازنات الخليجية ، شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الموقع www.islamonline.com

جدول رقم (2) نسبة الوافدين وقوة العمل في دول الخليج العربي في عام 2001

الدولة	قوة العمل		السكان	
الامارات	2079	%91.03	3488	%85
البحرين	308	%37.7	651	%50
السعودية	6090	50.2	22690	%34
عمان	705	%79.0	2478	%54
قطر	323	%85.9	597	%70.0
الكويت	1213	%61.9	2243	%71

على خلفية الكواري ، اصلاح الخلل السكاني في اقطار الخليج العربي ، شبكة المعلومات الدولية الانترنيت على الموقع :
www.tajdeed.org/ - 35k

من واقع ان من يسيطر على المنطقة يسيطر على مفتاح القوة في العالم واعتمدت الولايات المتحدة في البداية ما عرف بمبدأ نيكسون او ستراتيجية الدعاميتين المتمثلة في الاعتماد على ايران والسعودية في دعم السياسة الامريكية أي ان الولايات المتحدة كانت ترغب بادارة الامور بصورة غير مباشرة الا ان التغيرات التي حدثت في ايران عام 1979م ادت الى تغير في السياسة الامريكية حيث حدد مبدا كارتر الذي ينص على التدخل المباشر وتسلم المسؤوليات الامنية لضمان تدفق النفط وعلى اثر ذلك تم عقد اتفاقيات مع بعض الدول الخليجية مثل عمان والبحرين لتقديم التسهيلات للقوات الامريكية ووافقت السعودية على منح حق استخدام الولايات المتحدة لقاعدة الظهران وتلتها الامارات في عقد اتفاقيات مشابهة مع الولايات المتحدة[12] الا ان تسارع الاحداث في المنطقة في العقدين الاخيرين وبروز العراق كقوة اقليمية بعد انتهاء الحرب العراقية-الايرانية (1980-1988) والاجتياح العراقي للكويت واندلاع حرب الخليج الاولى وحرب احتلال العراق في عام 2003م كثفت من الوجود العسكري الامريكي وتدخله المباشر في المنطقة واتضح من خلال ذلك تغير السياسة الامريكية تجاه الخليج اذ اصبحت الادارة الامريكية تنظر الى الخليج كجزء من الامن القومي الامريكي وليس مجرد حلقة من حلقات الصراع الدولي[13] فالولايات المتحدة اخذت تستخدم النفط كورقة سياسية تشهرها في وجه نظرائها والدليل على ذلك ان اليابان تستورد 65% من حاجاتها الفعلية من النفط من منطقة الخليج العربي ويستورد الاتحاد الاوربي 35% من حاجته من المنطقة ايضا بينما لا تستورد الولايات المتحدة سوى 5% فقط من حاجتها من المنطقة[14] ان هذه المتغيرات والمؤثرات تعكس وضعا خطيرا جدا في الوضع الامني لدول الخليج العربي في حالة غياب النفط وتغير السياسة الامريكية وهذا ما سنتطرق اليه في المبحث التالي وخلاصة القول ان النفط قد رفع دخل المواطن الخليجي ورفاهيته ولكنه احدث خللا بنيويا مما يتطلب ايجاد الحلول والبدائل المناسبة.

المبحث الثالث

احتمالية نضوب النفط والبدائل المطروحة

في منطقة الخليج العربي

النفط كلمة مشتقة من الفارسية (نافتا)[15] وهناك من يرجع ان اصل الكلمة اغريقي[16] اما كلمة البترول فهي كلمة لاتينية مركبة تتكون من مقطعين (بيترا) الذي يعني حفر و(اليوم) التي تفي (زيت) وبذلك فان الكلمة تعني زيت الصخر، والنفط سائل كثيف قابل للاشتعال بني غامق او بني مخضر يوجد في الطبقة العليا من القشرة الارضية وهو يتكون من خليط معقد من الهيدروكربون وخاصة سلسلة الالكانات[17] وفي الحقيقة فان العلماء لم يتوصلوا حتى هذه اللحظة لنظرية ثابتة عن منشأ النفط الا ان الشائع عن نشأة البترول نظريتان هما :-

1. نظرية المنشأ الحيوي

حيث يعتقد الباحثين ان النفط ناتج عن تاثير الضغط والحرارة على النباتات القديمة على مر العصور الجيولوجية واعتمادا على هذه النظرية فقد تكون البترول من تحلل بقايا الحيوانات البحرية والنباتات قبل ملايين السنين وبمرور الوقت الذي قد يصل الى عدة ملابين من السنين فان هذه المواد العضوية اختلطت بالطين ودفنت تحت طبقات رسوبية من المواد وادت الحرارة والضغط الشديدين الى تحول هذه النباتات والحيوانات الى مادة شمعية تسمى (الكيروجين) والى هايدروكربونات سائلة وغازية في عملية تعرف بالتطور التدهوري وانتقلت هذه المادة خلال طبقات الصخور المجاورة حتى تم احتجازها تحت الارض في صخور مسامية تسمى المستودعات مكونة حقل زيت والتي يمكن استخلاص السائل منها بالحفر ثم الضخ.

2. نظرية المنشأ غير الحيوي

تفترض هذه النظرية وجود كميات ضخمة من الكربون في باطن الارض بعضه على شكل هيدروكربونات وبالنظر الى ان الهيدروكربونات اقل كثافة من الموائع المسامية فانه يتجه للاعلى وتقوم اشكال الدقيقة بتحويله الى ترسبات

هيدروكربونية عديدة وقد اثبتت الدراسات العملية ان (اللكانات) (المكون الرئيسي للبترول) لا تنتج تلقائيا من الميثان في الضغوط الموجودة في الاحواض الرسوبية وعلى هذا فان نظرية المنشأ الغير حيوي تفترض التكون العميق اسفل (200كم)[18].

ونظرا لعدم وجود نظرية قاطعة عن تكون النفط فقد اصبح من الصعوبة تحديد مدة زمنية مؤكدة لنضوبه النفط الا ان نضوب بعض حقول النفط في الولايات المتحدة يعطينا مثالا واضحا عن امكانية نضوب النفط[19]، والطريقة الاكثر شيوعا في الوقت الحاضر لتحديد فترة نضوب النفط هي قسمة الاحتياطي الاقتصادي (الذي تكون ارباح بيعه اكثر من تكاليف استخراجه) على كميات الانتاج اليومي وقد قدر الاحتياطي الاقتصادي العالمي 797 مليار برميل منه 500 مليار احتياطي النفط العربي أي ما يعادل نسبة 63% من اجمالي الاحتياطي العالمي للنفط عام 1996م في حين بلغ متوسط الانتاج العالمي من النفط سنويا 23 مليار برميل منها 7 مليار برميل مصدرها النفط العربي وطبقا لطريقة الحساب المعتمدة اعلاه فان النفط العربي ينفذ بعد 68سنة تقريبا اعتبارا من سنة 1999[23] اما بالنسبة لمنطقة الخليج العربي فقد قدرت الاحتمالات ان النفط سينضب في المملكة العربية السعودية بحلول عام 2013م فيما سينضب في الكويت بحدود سنة 2017م[24]، مع العلم ان هاتين الدولتين الخليجيتين هما من اكبر الدول المنتجة للنفط في الخليج العربي وهذه الارقام لا تبدوا بعيدا جدا عن الرقم الناتج من قسمة الاحتياطي الموجود (468.2) بليون برميل على الانتاج اليومي (13229.5) بليون برميل يوميا اذ يتضح من حاصل القسمة ان النفط ينفذ بعد 28.2 سنة انظر جدول رقم (3)، ان المشكلة الرئيسية هنا هي ليس متى سينضب النفط فمن المحتمل ان تكون هذه الاحتمالات غير صحيحة وقد تقصر او تطول مدة نضوب النفط ولكن السؤال الاهم المطروح كما اشرنا في مقدمة البحث هو هل توجد بدائل جيدة وكافية لتحل محل النفط؟ والاجابة على هذا السؤال تتطلب اخذ الموضوع من ناحيتين الناحية الطبيعية والناحية البشرية فمن الناحية الطبيعية يمكن اعتبار الغاز احسن البدائل المطروحة للنفط في

منطقة الخليج العربي حيث تنتج دول الخليج العربي حوالي 165.9 بليون م^3 يوميا أي ما يعادل 5.6% من الانتاج العالمي عام 1999م فيما قدر الاحتياطي الخليجي لعام 1999م بحوالي 22.68 الف بليون م^3 يوميا أي حوالي 15% من الاحتياطي العالمي[21] ولكن المعلومات تشير الى البدائل المطروحة ومن ضمنها الغاز الطبيعي غير مجدية اقتصاديا بل ان بعض المراقبين يصفها بالفاشلة حيث تحتاج الى مليارات الدولارات لفترة تتراوح بين 20 الى 30 سنة لكي يتم التوصل الى نتائج ايجابية بشأنها[22] اما في الجانب الزراعي فان دول الخليج العربي تعتبر فقيرة من هذه الناحية بالنظر لظروفها الطبيعية والمناخية وقلة المياه العذبة الصالحة للري وقلة الامطار التي تبلغ في احسن حالاتها 35-40ملم في السعودية بينما تبلغ في قطر والبحرين اقل من هذه المعدلات حيث تتراوح بين صفر-75ملم ويرافق هذه القلة في الامطار ارتفاع في درجات الحرارة حيث تتراوح في شهر كانون الثاني بين (11.7م^o – 23.8م^o) وفي شهر تموز من (22.9م^o الى 38.1م^o) ولا تبلغ مساحة الاراضي الصالحة للزراعة اكثر من 5% من المساحة الكلية لهذه الاقطار ونتيجة لتزايد عدد السكان فقد زاد الطلب على المنتجات الزراعية مما يعني ان الاقتصاد الخليجي لا يمكن التعويل عليه في الجانب الزراعي[23].

اما في الجانب السياسي فان الازمات التي مرت بها المنطقة في العقدين الاخيرين من القرن العشرين اظهرت الضعف الواضح لدول الخليج العربي في سياستها الدفاعية واعتمادها الكامل على الحماية الاجنبية وفي الحقيقة فان دول الخليج العربي اعتمدت على مفهوم ستراتيجي يستند على ان امن المنطقة لاينبغي له ان يعتمد بشكل رئيسي على القدرات الذاتية لهذه الدول بل يجب ان يعتمد على مجموعة من العوامل الخارجية التي تقع خارج سيطرة وقدرات دول المنطقة لذلك اصبح الامن في الخليج رهين لحسابات ومعادلات اقليمية ودولية لا تملك امكانية التاثير فيها او السيطرة على تحولاتها ولربما كان النفط هو احد التغيرات في هذه المعادلة وبشكل غيابه تصدعا في استراتيجية الامنية لدول الخليج ومن ناحية ثانية فان تزايد الانفاق العسكري في دول الخليج يلقي عبئا ثقيلا على ميزانيات دول

الخليج العربي واذا كان النفط يسد هذا الكم من الانفاق حاليا فما هو الحل في حالة غياب الوادر النفطي فقد الانفاق العسكري في دول الخليج المعدلات العالمية السائدة من حجم الدخل القومي انظر جدول رقم (4) وتعتبر قطر وعمان والسعودية والكويت بالاضافة الى اسرائيل اكبر دول الشرق الاوسط من حيث نسبة الانفاق العسكري من اجمالي الناتج المحلي وهذا ما يعكس العبئ الضخم للانفاق العسكري في هذه الدول لان هذه النسب تفوق معدل نمو اجمالي الناتج المحلي في هذه الدول[24].

وخلاصة القول ان الدول الخليجية سوف تعاني من صعوبات جمة في حالة نضوب النفط ربما تتفوق على ما كانت تعانيه في عصر ما قبل النفط بسبب شيوع الطابع الاستهلاكي وانعدام البدائل الحقيقية التي يمكن ان تحل محل النفط، واذا كان هناك من يقول ان الاقطار الخليجية تمكنت من توفير بعض المشاريع الاستثمارية في مجال الصناعة فان مساهمة الصناعة في الدخل القومي لا تزال منخفضة كما انها لاتزال تعتمد على الخبرة الاجنبية والمواد الاولية المستوردة من الخارج بالاضافة الى عدم وجود ستراتيجية صناعية واضحة المعالم واهم الصناعات الموجودة في دول الخليج هي صناعة السمنت وصناعة البتروكيماويات و صناعة البتروكيماويات وصناعة الحديد والصلب.

جدول رقم (4) نسبة الانفاق العسكري الى الناتج المحلي
في دول الخليج العربي لعام 1998

الدولة	نسبة الانفاق

البحرين	4.8
الكويت	12.6
عمان	13.6
قطر	12
السعودية	15.7
الامارات	6.5

التقرير الستراتيجي العربي ، مركز الاهرام
للدراسات الستراتيجية القاهرة ، 2000 ، ص202

الهوامش

١. محمد احمد الزعبي ، الاسس الستراتيجية لتطور المجتمع في الخليج العربي من كتاب الانسان والمجتمع في الخليج العربي ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي جامعة البصرة، مطبعة الارشاد ، بغداد ، 1979، ص59.
٢. ابراهيم عبد الجبار المشهداني ، صبري فارس الهيتي ، محمد سعيد عمر ، جغرافية الخليج العربي ، دار الكتب للطباعة والنشر ، 1979 ،ص6.
٣. محمد غانم الرميحي، اسلوب الانتاج وعلاقاته في مجتمعات الخليج قبل النفط ، من كتاب الانسان والمجتمع في الخليج العربي، الكتاب الاول ، مطبعة الارشاد، بغداد ،1979، ص39.
٤. صبري فارس الهيتي ، الخليج العربي (دراسة في الجغرافية السياسية)، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، الجمهورية العراقية ، دار الرشيد للنشر ، 1981 ، ص265.
٥. المصدر نفسه ، ص267.
٦. حمد سعيد الموعد ، امن الممرات المائية العربية (دراسة) من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 1999 طبعة الكترونية على الموقع :
/http://www.awu-dam.org
٧. المصدر نفسه .
٨. سالم سعدون ، جزر الخليج العربي دراسة في الجغرافية الاقليمية ، دار الحرية للطباعة ، 1981 ، ص22.
٩. حسين ندا حسين ، الاهمية الستراتيجية والنظام القانوني للطريق الملاحي البحري في الخليج العربي ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، الجمهورية العراقية ، 1980 ، ص51.
10. شبكة المعلومات الدولية الانترنيت ، النشرة الاقتصادية لدول مجلس التعاون الخليجي على الموقع
www.gcc.org/economic

11. احمد حسين ، الموازنات الخليجية ، شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الموقع

www.wikinedia.com

12. النشرة الاقتصادية لدول مجلي التعاون الخليجي / مصدر سابق.

*. يقوم العمال الكوريون على سبيل المثال برفع على بلادهم ويترنمون بنشيدهم القومي يوميا قبل الخروج الى العمل ، عبد الباسط عبد المعطي ، في التكلفة الاجتماعية للعمالة الاجنبية في الخليج، مجلة المستقبل العربي ، بيروت العدد 37، 1982 ، ص40.

13. علي خليفة الكواري ، اصلاح الخلل السكاني في اقطار مجلس التعاون لدول الخليج العربي ، شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الموقع www.gcc.org/economic

14. المصدر نفسه .

15. شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الموقع

16. النفط والجيوستراتيجية ، شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الموقع

17. المصدر نفسه .

18. شبكة المعلومات الدولية على الموقع

www. wikindeia.com

19. جريس الريحاني ، البترول ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان الادرن، بدون سنة طبع، ص7.

20. شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الموقع

www.wikined.com

21. المصدر نفسه وكذلك ينظر ثامر خزعل العامري ، المواصفات المجهرية للشرائح البايلوجنيية في استكشاف النفط والغاز لطبقات مختارة من العراق، مجلة علوم، العدد 93، 1997، ص28.

22. الارقم الزعبي ، العرب ومشكلة الموارد النفط–المياه ، شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الموقع www.awu-dam.org

23. المصدر نفسه.
24. احمد حسن الموازنات الخليجية ، مصدر سابق.
25. شبكة المعلومات الدولية الانترنت النشرة الاقتصادية لدول مجلس التعاون الخليجي ، مصدر سابق.

المصادر

١- الهيتي , صبري فارس , الخليج العربي (دراسة في الجغرافية السياسية) منشورات وزارة الثقافة والاعلام , الجمهورية العراقية , دار الرشيد للنشر . 1981

٢- الزعبي محمد احمد , الاسس الستراتيجية لتطور المجتمع في الخليج العربي من كتاب الانسان والمجتمع في الخليج العربي , منشورات مركز دراسات الخليج العربي , جامعة البصرة , مطبعة الارشاد , بغداد , 1979.
٣- حسين , ندا حسين , الاهمية الستراتيجية والنظام القانوني في الطريق الملاحي البحري في الخليج العربي , منشورات وزارة الثقافة والاعلام , الجمهورية العراقية , 1980.
٤- المشهداني ,, ابراهيم عبد الجبار , الهيتي , صبري فارس , سعيد , محمد عمر جغرافية الخليج العربي , دار الكتب للطباعة والنشر , 1979 .
٥- سعدون , سالم , جزر الخليج العربي , دراسة في الجغرافية الاقليمية دار الحرية للطباعة , 1981 .
٦- عبد المعطي ., عبد الباسط , في التكلفة الاجتماعية للعمالة الاجنبية في الخليج العربي مجلة المستقبل العربي , بيروت العدد 37, 1982.
٧- العامري , ثامر خزعل , المواصفات المجهرية للشرائح الباليوجينية في استكشافات النفط والغاز لطبقات مختارة من العراق مجلة علوم , العدد 93, 1997.
٨- الرميحي , محمد غانم , اسلوب الانتاج وعلاقاته في مجتمعات الخليج قبل النفط , من كتاب الانسان والمجتمع في الخليج العربي , منشورات مركز دراسات الخليج العربي , جامعة البصرة , مطبعة الارشاد , بغداد , 1979.
٩- الريحاني , جريس , البترول , المؤسسة العربية للدراسات والنشر عمان الاردن , بدون سنة طبع .

شبكة المعلومات الدولية

1-الموعد سعد حمد , امن الممرات المائية العربي (دراسة) من منشورات اتحاد الكتاب العرب 1999طبعة الكترونية على الموقع

2- النشرة الاقتصادية لدول مجلس التعاون الخليجي على الموقع
www.gcc.org/economic
3- حسين احمد , الموازنات الخليجية شبكة المعلومات الدولية الانترنيت على الموقع
:

www.wikinedia.com
4- علي خليفة الكواري , اصلاح الخلل السكاني في اقطار مجلس التعاون لدول الخليج العربي , شبكة المعلومات الدولية على الموقع
www.tajdeed.org/ - 35k
5- النفط والجيوستراتيجية شبكة العلومات الدولية على الموقع
www.wikinedia.com
6- الارقم الزعبي , العرب ومشكلة الموارد النفط والمياه . شبكة العلومات الدولية على الموقع:
/http://www.awu-dam.org